



نظرتنا إلى أوروبا

ومسؤولية الجالية المسلمة لنجاح الحوار

د. أحمد آق كندوز

رئيس جامعة روتردام الإسلامية





الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ...

١ - نظرنا إلى أوروبا

نودُّ أن نوجّه أنظار المسلمين، وكذلك النصارى، إلى أن أوروبا هي في الواقع مزدوجة:

أوروبا في وجه من وجهيها: هي أوروبا التي تستلهم من الأديان السماوية وعلى رأسها الإسلام والمسيحية، لتكون مهذاً للعلوم والتكنولوجيا الخادمة للإنسانية جمعاء، فنحن نشجع هذا الوجه من أوروبا.

ونحن نقول: إن في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: ٤) إشارةً إلى تشويق أهل الكتاب إلى الإيمان وتأسيسهم، والتسهيل عليهم، كأنه يقول لهم: "لا يشقنَّ عليكم الدخول في هذا المسلك، إذ لا تخرجون عن قشركم بالمرة، بل إنما تكملون معتقداتكم، وتبنون على ما هو مؤسس لديكم"، إذ القرآن معدل ومكمل في الأصول والعقائد، وجامع لجميع محاسن الكتب السابقة وأصول الشرائع السالفة، كما أنه مؤسس في التفرعات التي تتحول بتأثير تغير الزمان والمكان، فكما تتحول الأدوية والألبسة في الفصول الأربعة، وطُرُز التربية والتعليم في طبقات عمر الشخص؛ كذلك تقتضي الحكمة والمصلحة تبدل الأحكام الفرعية في مراتب عمر نوع البشر، فكم من حكم فرعي كان مصلحة في زمان، ودواء في وقت طفولية النوع، لا يبقى مصلحة في آخر، ودواء عند شبابة النوع، ولهذا السّرّ نسخ القرآن بعض الفروع، أي بين انقضاء أوقات



تلك الفروع ودخول وقت آخر.

وأوروبا في وجهها الثاني: هي أوروبا التي يعاني منها أهلها أيضاً، المتمثلة في انهيار القيم والأخلاق تحت تأثير فلسفات وآراء مبتورة أو مشوهة. ومن أهم مقاصدنا إنقاذ الأجيال المسلمة الأوروبية خاصة من السقوط في هذه الحياة التي نراها لا تنسجم مع القيم والأخلاق الإسلامية.

لقد عبر كاردينال النمسا (كونيك) في افتتاح الأكاديمية الإسلامية في فيينا عن مشاعرنا تماماً حين قال: إن الإنسانية مدعوة إلى الاجتماع على مسائل أساسية مهمة، وترك بعض المسائل المختلف فيها جانبا، إزاء الانحلال الأخلاقي الشديد و(اللا ديني) المتسارع.

وقد أشار النبي ﷺ إلى مثل هذا التقارب حين بين أن المسلمين سوف يسالمون النصارى ويحاربون الكفر والسقوط الأخلاقي في الحديث الذي أورده الإمام أبو داود (في كتاب الملاحم الجهاد / السنن - رقم ١٥٦) (١)، كذلك بين الإمام بديع الزمان بأن على المؤمنين أن يتماسكوا مع بعضهم، ويتحالفوا مع المتدينين من النصارى ضد الأخطار (اللا دينية) وانهيار الأخلاق (٢).

فكل شيء في الغرب ليس خيراً خالصاً، ولا شراً خالصاً، فالمدنية الغربية تحتوي على بعض القيم المشتركة مع المسلمين، فكما استفاد الغرب من المدنية اليونانية والمدنية الرومانية فإنه استفاد أيضاً من المدنية الإسلامية. إذن يجب أخذ الحسن؛ لأن (الحكمة ضالة المؤمن، أئى وجدها فهو أحقُّ

(١) يأتي ذكره لاحقاً.

(٢) انظر المکتوبات للإمام بديع الزمان، المکتوب ١٥ .



الناس بها)، كما يجب ترك كل ما لا يتلائم مع القرآن.

٢- تشجيع الحوار البناء مع غير المسلمين

إنَّ من أعظم الأدوار التي يمكن أن تقوم به المؤسسات الإسلامية لتحقيق مستقبل أفضل للجمالية المسلمة في الغرب عامة هو تشجيع الحوار البناء. فإله تعالى يأمرنا أن ندعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، لا بالعبرة الخشنة، وأن نجادل بالتي هي أحسن ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥).

هذا هو الأسلوب الذي ينبغي للمسلم أن يتبعه في دعوته للمعاندین، وحسبنا وصية الله تعالى للرسولين الكريمين موسى وهارون: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه: ٤٣-٤٤). والاختلاف أمر متوقع في هذه الأمة وفي كل الأمم: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين﴾ (هود: ١١٨) فالاختلاف بين البشر حقيقة فطرية، وقضاء رباني مرتبط بالابتلاء والتكليف الذي تقوم عليه خلافة الإنسان في الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة: ٤٨).

فالاختلاف والتعددية بين البشر قضية واقعية، ومنهج تعامل العقلاء مع هذه القضية هو الحوار الذي يتم في ضوءه توظيف الاختلاف وترشيده بحيث يوصلهم إلى هدف التعارف، ويجنبهم مخاطر النزاع والتباغض.



والحوار يعالج قضية الاختلاف خلال كشفه عن مواطن الاتفاق ومثارات الاختلاف ؛ لتكون محل النقاش والجدل والتي هي أحسن لمعرفة ما هو أقوم للجميع. ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (الممتحنة: ٨-٩). وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

فقد روى الإمام أحمد في مسنده وأبو داود وابن ماجه وابن حبان أن رسول الله ﷺ قال: (ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أئمتهم وهم عدواً من ورائهم، فتسلمون وتغنمون، ثم تنزلون بمرج ذي ثلؤل فيقوم رجل من الروم فيرفع الصليب ويقول: غلب الصليب! فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله، فيغدر الروم وتكون الملاحم فيجتمعون لكم ثمانين غاية (علم وراية) مع كل غاية اثنا عشر ألفاً).

قال بعض العلماء: واضح من نص الحديث أن ثمة حريين ستقعان: الأولى: وهي هرمجدون العالمية وهي التي يعرفها جميع أهل الكتاب ويتوقعونها. والثانية: الملحمة الكبرى والتي ستكون بعد حرب



"هرمجدون" بين المسلمين من جهة وأوروبا وأمريكا من جهة أخرى نتيجة غدر الروم بنا، فحرب "هرمجدون" ستكون حرباً مدمرة نووية تفني معظم الأسلحة الاستراتيجية وعالمية يكون المسلمون والروم (أوروبا وأمريكا) طرفاً واحداً لا محالة فيقاتلون عدواً مشتركاً كما يقول الرسول ﷺ.

قال بعض العلماء: ولا يفيد الحديث أن المسلمين استعانوا بالمشركين على قتال المشركين، وإنما يُفيد عن وجود عدو مشترك يُقاتله المسلمون من جهة، وكفرة الروم الذين تم الصلح معهم يقاتلونهم من جهة أخرى.. فهذا يحصل في العادة والشرع لا يمنع منه!

فنحن نقول: أما العدو المشترك فهو التيار الطاغوي المتمرد، المتولد من فلسفة الطبيعيين والماديّين، هذا التيار ينتشر ويتقوى تدريجياً بوساطة الفلسفة المادية في آخر الزمان، حتى يبلغ به الأمر إلى إنكار الألوهية، ويمنح أفراد هذا التيار المنكرين لله سبحانه أنفسهم نوعاً من الربوبية كأنهم غاردة صغار!!

وهكذا ففي مثل هذه الفترة، وحينما يبدو ذلك التيار قوياً شديداً يظهر الدين الحق الذي أتى به عيسى عليه السلام، والذي هو الشخصية المعنوية لسيدنا عيسى عليه السلام، أي ينزل من سماء الرحمة الإلهية، فتتصفي النصرانية الحاضرة تجاه تلك الحقيقة وتتجرد من الخرافات والتحريفات وتتحد مع حقائق الإسلام^(١).

أي أن النصرانية ستنتقل إلى الإسلام، فتكون تابعة، ويظل الإسلام في مقام الإمام المتبوع، ويجد الدين الحق نتيجة هذا الالتحاق قوة عظمية، إذ في

(١) ليس في هذا إنكار نزول المسيح عليه السلام آخر الزمان، فتلك عقيدة ثابتة لدى المسلمين.



الوقت الذي كان الاسلام والنصرانية منفردين - كل على حدة - غير قادرين على صدّ تيار الإلحاد يكونان بفضل الاتحاد بينهما على استعداد لتدمير تيار الإلحاد تدميراً كاملاً، ففي هذه الأثناء يتولى شخص عيسى عليه السلام الوجود بجسمه البشري في عالم السموات قيادة تيار ذلك الدين الحق.

أخبر بهذا مخبر صادق استناداً إلى وعد من لدن قدير على كل شيء، وإذا هو قد أخبر، فالأمر حق لا ريب فيه، وإذا وعد به القدير على كل شيء، فلا شك أنه سينجزه.

هذه هي البشرية:

وأنا أريد أن أذكر أنموذجاً رائعاً في تحقيق البشرية التي أخبرنا بها نبينا ﷺ في الحديث المذكور آنفاً، وهي كالتالي:

في يوم من الأيام جاء الأمين العالم لاتحاد الكنائس العالمية وقال لنا: أنتم المسلمون مع الأسف الشديد لم تقدرُوا قرارات كونسل^(١) المؤرخة بـ ١٠ مارس ١٩٨٤م المنعقد في سانت بولتن/ النمسا، ونحن كنا نظن أن العالم الإسلامي يعلن إلى جميع البشر هذه القرارات بالسرور والترحاب والفرح؛ فإن العالم المسيحي أول مرة يعترف بأن القرآن الكريم كلام الله، وأن محمداً ﷺ نبي من السلسلة النبوية المبتدئة من إبراهيم إلى محمد ﷺ، ولكننا نشرنا من هذه القرارات نسخاً معدودة، ثم ندم بعض المشاركين على هذه القرارات. وأنا بحثت واطلعت على موقع مؤسسة الكنائس العالمية، ووجدت فيها

(١) كونسل هو اسم للاجتماع الذي ينعقد مرة كل عدة سنوات، ويلتقي فيه رؤساء الكنائس على مستوى العالم.



القرارات التي صدرت في الستينيات وفي السبعينيات وفي التسعينيات فقط، ولم أجد القرارات التي صدرت في الثمانينيات؛ لأن هذا الدكتور كان يقصد هذه القرارات الإيجابية بالنسبة للإسلام وسيدنا محمد والقرآن.

وأنا أريد هنا أن أنقل قراراتين فقط من مجموع هذه القرارات:

القرار الأول: في صفحة ٦٥ يوجد القرار الآتي: إن المسلمين يؤمنون بالله ونحن نؤمن بالمسيح، ورغم الادعاءات الماضية إلا أنه لا يوجد أي فرق بين الله وبين المسيح، فقط يمكن أن يوجد الخلاف في صفات الله تعالى بين المسلمين والمسيحيين^(١).

القرار الثاني: (والمسيحيون يمكن أن يرفضوا فكرة أن محمداً نبي كاذب، عكس ذلك ينبغي أن يعترفوا بأن محمداً نبي من السلسلة النبوية المبتدئة بإبراهيم عليه السلام. لكن نرجو من المسلمين أن يفهموا بعض الخلافات الخفيفة بين فهمنا لمعنى النبوة وبين فهمهم لها).

٣ - صورة الإسلام في هذا الغرب تحتاج إلى كل أعمدة الحكمة لإزاحة الكدر وليس بخاف على أحد أن صورة الإسلام في هذا الغرب تحتاج إلى كل أعمدة الحكمة لإزاحة الكدر الذي شوهاها، بسبب ما فعلته الأيدي الخبيثة لطمسها، وبسبب ما قامت به قوى الظلام التي أساءت إلى الإسلام والمسلمين من حيث تعلم ومن حيث لا تعلم في هذه البلاد وفي بلداننا الإسلامية، ولكي

(1) Witness to God in a Secular Europe 2 vols. Report of a Consultation held in St. Polten Austria 5th-10th March 1984. Geneva: Conference of European Churches. 1985. 76 pp. 6 & 86 pp. n.p.



نبدأ السير على هدي صحيح رأينا أن نعرض التصور الآتي:

إن في العالم، وفي أوروبا خاصة، عوائق كثيرة تعيق فهم الإسلام منها: سوء الفهم بسبب الاطلاع على الإسلام من مصادر غير صحيحة، والتعصب الموروث من القرون الوسطى، والأحكام المسبقة لبعض رجال الدين بسبب هذا التعصب، وانقياد معظم الناس إلى هؤلاء من غير تمحيص لآرائهم، ونحن نسعى لإزاحة مثل هذه العوائق بالاعتماد على ثلاث منطلقات هي:

- الميل الشديد والرغبة العارمة المنتشرة في أرجاء الأرض إلى البحث عن الحقيقة المجردة عند البشرية قاطبة.

- الاطلاع على ما عند الآخر، مسلمين ومسيحيين كل من موقعه، وبإنصاف وعدل.

- المحبة الانسانية وفق البيانات القرآنية، وكما يعبر عنه اليوم باحترام الانسان.

وأنا أريد أن أذكر مثالين فقط:

الأول: بعض السياسيين والأشخاص في عدد من الدول الغربية - كما هو الشأن الآن في هولندا - يتهمون القرآن بالتحريض على العنف، وقبل سنوات شاركت في مؤتمر بجامعة «تونتى»، وادعى حينها أحد الحاضرين أن القرآن يحرض الناس على العنف، ولتعليل كلامه قرأ الآية الآتية من القرآن الكريم:

﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُنتَهُونَ﴾ (التوبة: ١٢)، ولما انتهى من القراءة رجوته أن يقرأ الآية من البداية فرفض، فقرأت أنا الجزء الذي امتنع عن قراءته، فالآية تبدأ هكذا: ﴿وَإِنْ نَكْثُوكُمْ بِبَيْعَتِكُمْ فِي الدِّينِ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَنْصَرِفُ عَنْ أَكْثَرِ النَّاسِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (التوبة: ١٢). فهذا مثال حي لما يقوم به الآن بعض السياسيين والأشخاص الذين يهاجمون الإسلام، فهم ينتقون أجزاء



من الآيات التي تناسب هواهم ثم يربطونها بالمواضيع التي يريدون إثارتها. نقطة مهمة جداً: من المعروف لدى كل الباحثين في القوانين الدولية، أن لكل دولة قواعد قانونية في أوقات الحرب (قانون الحرب) و(أوقات السلم)، وهي تختلف عن بعضها اختلافاً شديداً، فلو خلطت القوانين في أوقات الحرب بالقوانين في أوقات السلم لوصفت الأعمال التي تقوم بها هولندا في أفغانستان بالعنف مثلاً، وهذا المثال ينطبق على الآيات القرآنية أيضاً، فالقرآن الكريم يعد المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وهو يشمل آيات نزلت في أوقات الحروب، وآيات نزلت في أوقات السلم، والناس الذين يهاجمون القرآن يقومون بجمع بعض الآيات المتعلقة بأوقات الحرب ويعممونها وكأنها قوانين عامة يتم تطبيقها في كل زمان ومكان!! فالقرآن يشمل في الواقع على ١٠٩ آيات فقط، تتعلق بقانون الحرب، مثل القوانين التي نزلت على رسوله ﷺ خلال المدة التي كان يدافع فيها عن المدينة.

الثاني: إذا قال لنا شخص: كيف تشير إلينا بمحبة اليهود والنصارى، مع أن القرآن الكريم ينهى عن ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ (المائدة: ٥١).

أولاً: كما يلزم أن يكون الدليل قطعي المتن، يلزم كذلك أن يكون قطعي الدلالة، مع أن للتأويل والاحتمال مجالاً، لأن النهي القرآني ليس بعام بل مطلق، والمطلق قد يُقيد، والزمان مفسر عظيم، فإذا ما أظهر قيده فلا اعتراض عليه. وأيضاً، إن كان الحكم قائماً على المشتق، فإنه يفيد علية مأخذ الاشتقاق للحكم.



فإذا تأملنا في الآية الكريمة، نفهم أن المنهي عنه في هذه الآية الكريمة هو محبتهم من حيث ديانتهم اليهودية والنصرانية، وأيضاً، لا يكون المرء محبوباً لذاته، بل لصفته وصنعتة، لذا فكما لا يلزم أن تكون كل صفة من صفات المسلم مسلّمة، كذلك لا يلزم أن تكون جميع صفات الكافر وصنعتة كافرة أيضاً، فعلى هذا، لم لا يجوز اقتباس ما استحسناه من صفة مسلمة أو صنعة مسلمة فيه؟ فإن كانت لك زوجة كتابية، لاشك أنك تحبها.

ثانياً: لقد حدث انقلاب ديني عظيم في العصر النبوي السعيد، وجه كل الأفكار والأذهان نحو الدين، فارتبطت بالدين جميع الحسيات والمشاعر، فكانت العداوة والمحبة تدوران حول ذلك المحور "الدين"، لهذا كانت تُشم رائحة النفاق من المحبة مع غير المسلم، ولكن الانقلاب الحاضر العجيب في العالم هو انقلاب مدني وديني الذي نسميه اليوم العولمة، فالمدينة والرقمي الديني يجذبان العقول كلها ويشغلانها ويشدان بهما جميع الأذهان فضلاً عن أن معظم غير المسلمين ليسوا ملتزمين التزاماً جاداً بدينهم أساساً، فعلى هذا محبتنا لهم ما هي إلا لاقتباس ما استحسناه من مدنيّتهم وتقديمهم، ولأجل المحافظة على نظام البلاد وأمنها الذي يعدّ أساس سعادة الدنيا، فهذه الصداقة إذاً لا تدخل قطعاً ضمن النهي القرآني.

إنّ قسماً من أفراد المسلمين يقولون: لا تخاطبوا النصارى بـ: "يا كافر" استهانةً بهم، فهم أهل كتاب!.. لماذا لا نخاطب الكافر بـ "أيها الكافر"؟! والجواب أن نقول: أولاً: مثلما لا تقولون للأعور: أيها الأعور! لئلا يتأذى، فهناك نهى عن آذاهم كما جاء في الحديث الشريف^(١).

(١) تمام الحديث: (من آذى ذمياً فأنا خصمه) رواه أبو داود عن عدة أبناء أصحاب رسول الله ﷺ قال في المقاصد: وسنده لا بأس به. (راجع كشف الخفاء ٢/ ٢٩٨).



وثالثاً: للكافر معنيان: فالأول: وهو المتبادر إلى الذهن عرفاً وهو: المنكر للخالق سبحانه والملحد الذي لا دين له، فهذا المعنى ليس لنا الحق في إطلاقه على أهل الكتاب. وثانيه: هو المنكر لرسولنا الأعظم ﷺ وللإسلام، فهذا المعنى، لنا الحق أن نطلقه.

لا يخفى عليكم أن ملايين المسلمين الذين نزحوا إلى أوروبا هم من الطبقة البسيطة التي كان جلُّهمها تحسين وضعها الاقتصادي كي تعود إلى بلدانها لممارسة حياة أفضل، إلا أنها بمرور الوقت تجد نفسها مضطرة إلى الاستقرار في هذه البلاد، لأسباب كثيرة لسنا بصدد تفصيلها، فأنتم أعرف بها، وهي إلى حدٍّ كبير لا تعرف إلا النزر القليل من أمور دينها.

أمّا الجيل الثاني الذي يتربى في هذه البلاد فإنه يكاد ينفصل عن جيل أبويه، ولا يملك إلا الهوية الإسلامية، وقد يقيم بعض الواجبات إلا أنه لا يعرف فحواها، وقد ينزلق بعضهم في مهاو لا يعرف قرارها، ولا يدرك تأثيرها عليه وعلى المسلمين، كما في أذهان كثير منهم بسبب الدعاية الإعلامية المعادية، وتراكمات تاريخية، وصورة سلبية صورها.

يجب علينا بصفتنا مسلمين نعتزُّ بديننا وإنسانيتنا، ونشعر بالمسؤولية اتجاه الإنسانية، أن ندعو إلى حوار الحضارات لا إلى صراعها، وأن نشجع على الاندماج الإيجابي المتوازن في مجتمعات الدعوة، وأن نتصف بال مرونة والعقلانية والتحديث؛ لأنَّ المسلم يعتقد "أنَّ الإسلام صالح لكلِّ زمان ومكان"، ويجب علينا ألا نكتفي بترديد هذه المقولة، وإنما نسعى لتطبيقها في مختلف بلدان العالم.



وكلُّنا يعرف أنَّ البشرية فيها معتقدات وأديان متعددة ومختلفة، وأنَّ الإسلام هو أحدُ هذه الأديان، وليس الدين الوحيد، ولنا في الآية الكريمة خير شاهد حيث يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الروم: ٢٢) وما يُعزِّز هذا الرأي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: ١١٨)، فلا بدَّ من الإقرار أنَّ الدين هو أحد المكونات الأساسية لأيِّ شعب من الشعوب، وهو لا يقلُّ أهمية عن اللغة، والتاريخ، والثقافة.

وطالما أنَّ الفكر الإنساني المتحضر على تنوع مناهجه يدعو إلى الخير والمحبة والعدل والسلام، فإنَّ الحوار ممكن، وهو شرط لا بد منه لتعزيز التعايش السلمي المبني على المساواة والعدل.

وربما تنسجم الآية الكريمة مع الهدف الأكثر شمولاً عندما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)، هذا التعارف لا يلغي الآخر، بل يندمج فيه، ويفيد منه، ويفيده.

علينا بصفتنا مسلمين أن نفتح حواراً متفتحاً، ليس على مستوى الدين فحسب، بل علينا أن نخوض في حوار حضاري يمتد من الثقافة والفنون، ويمر بالفكر والفلسفة، وينتهي بمختلف العلوم الإنسانية المتاحة أمام الكائن البشري، وعلينا أن نرسخ مفهوم الاحترام المتبادل بين الشعوب، وأن نسعى لإظهار الحقائق التي تمتلكها كل الأطراف المتحاور، متبعين أدب الحوار الذي



يَحْضُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ كَمَا وَرَدَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ التَّالِيَةِ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥).

٤- ينبغي أن تكون نخبة إسلامية في أوروبا حتى نزيل مصيبة التعميم.

وفي هذا الجانب أود أن أنقل لكم ملاحظة البروفسور زايدر فلد، وهو أستاذ هولندي في علم الاجتماع، وأنا شخصياً أتفق مع ملاحظته هذه تماماً.

يقول البروفسور: "أود أن أشير إلى أنني غير مرتاح للتعميمات التي تصدر عن معظم منتقدي الإسلام. واسمحوا لي أن أقتصر على تعميمين مقلقين للغاية: إن معظم النقاد يتحدثون ويكتبون عن «الإسلام» و«المسلمين»، كما لو أنه لم تكن هناك خلافات لاهوتية وعرقية خطيرة في الماضي، علماً أن هذه الخلافات حدثت في معظم أديان العالم، فهذا راجع بالأساس إلى المعرفة السطحية أو المنعدمة بتاريخ وعلم ظواهر الإسلام كونه ديناً عالمياً، وعلاوة على ذلك، ينبغي أن نركز في مناقشاتنا على موقف المسلمين في مجتمعنا، فهم الشركاء الرئيسيون في مناقشاتنا حول الدين والمجتمع على كل حال.

التعميم الثاني هو الأكثر إثارة للقلق: فغالباً ما يُعرّف الإسلام إما خفية أو علانية على أنه مضاد للديمقراطية الدينية، وأحياناً أخرى بالإرهاب، ونتيجة لذلك، كثيراً ما ينظر إلى المسلمين على أنه من المحتمل أن يقوموا بأعمال إرهابية.

والفكرة الكامنة وراء هذا التعميم هو استحالة تحقيق إسلام مستنير في



سياق سياسي وديمقراطي، ولست بحاجة إلى إثبات هذه المسألة، لأنه فعلاً يوجد إسلام مناهض للديمقراطية والتنوير، ولا سيما في الشرق الأوسط، وغالباً ما يدعم معتنقوه الشبكات الإرهابية، ولا ينبغي أن نكون ساذجين بخصوص هذا الأمر، إلا أنه بطبيعة الحال، يوجد تعميم بخصوص الإسلام، ويُعتقد أنه دين لا يدعم التنوير، ودين «القرون الوسطى»، و«ما قبل الحداثة»، أما «المسلمون»، فيُعتقد أنه من المحتمل أن يتحول كل واحد منهم إلى إرهابي.

وفي ضوء هذه المجموعة الأولى من التعميم، أرى أن جامعة روتردام الإسلامية من الناحية السوسيوثقافية والسياسية في بالغ الأهمية بالنسبة لنا، فهدفها الأساس، هو تعليم وتثقيف الشباب المسلم الذي ولد ونشأ داخل المجتمع الغربي تعليماً علمياً وأكاديمياً، هذا المجتمع مبني على قيم وقواعد دولة دستورية، ومع ذلك ينبغي أن يدرك كل واحد منا أنه ليس بالضرورة أن يكون التعليم العلمي علمانياً، يمكن للتعليم أن يركز على مجموعة من المعتقدات الدينية، فإننا نعلم أنه يوجد في هولندا جامعتان كاثوليكيّتان في كل من تيلبورغ ونيميخن، وجامعتان كلفينيتان في كل من أمستردام وكامبن، فإذا قلنا: (جامعة إسلامية) فلا يعني هذا على الإطلاق أن التعليم في هذه الجامعة يقتصر على منهج ديني معين (المنهج السني، أو المنهج الشيعي)، ولا على فئة عرقية معينة (الأتراك، أو المغاربة).

وخلاصة القول : إن التعليم والبحث العلميين لجامعة إسلامية يصدان التعميمات بخصوص «الغسلام والمسلمين».

ولكن هناك نقطة ثانية، وهي قيام علماء فقهاء عارفون بشؤون ومشكلات



الجاليات المسلمة في الغرب الأوروبي، وأنا لا أشعر بالارتياح إزاءها، والأمر يتعلق بالمناقشات الحالية حول الإسلام والمسلمين، فغير المسلمين هم الذين يعتلون المنصات للنقاش في المواضيع المتعلقة بالإسلام والمسلمين، وكثيراً ما تكون لديهم نزعة معادية للإسلام، بل كثيراً ما تغلب عليهم النزعة الإلحادية التعصبية.

وما يذهلني، ويزعجني، وهو أمر لا بد أن أعترف به، هو أنه لا يشارك في هذه النقاشات إلا عدد قليل جداً من المسلمين، كما أن المسلمين لا يردون على انتقادات أولئك الذين ينتقدون المسلمين ودينهم بطريقة علمية ومعقنة.

وبعبارة أخرى، فليست هناك في الواقع مناقشة حقيقية! والسبب الرئيس في ذلك هو أنه ليس لدينا حتى الآن نخبة إسلامية؛ أي مجموعة من المتعلمين والمثقفين الذين يستطيعون أن يثبتوا أن الدين الإسلامي ونمط الحياة الإسلامي مقبولان في سياق حدائي، وديمقراطي غربي، مثل هذه النخبة، حققها الكاثوليكيون والكاليفينيون منذ عدة عقود. وهذه النخبة تُكوّن في المؤسسات التعليمية، وخاصة في مؤسسات التعليم العالي.

وجامعتنا الإسلامية ستهيئ هذه النخبة الإسلامية المثقفة والتي لن تساهم فقط في تحرر المسلمين في مجتمعنا، وإنما أيضاً في الرد العلمي والحضاري على منتقدي الدين عموماً، والإسلام على وجه الخصوص، ولذلك، من الحكمة سياسياً ومن الضروري أن يتم توطيد جامعة روتردام الإسلامية داخل نظام التعليم العالي الهولندي" (١).

(١) الأستاذ الدكتور أنطون زايدر فلد، كلمة القاها في افتتاح السنة الدراسية لجامعة روتردام الإسلامية ٢٠٠٦ كلمة القاها في افتتاح السنة الدراسية لجامعة روتردام الإسلامية.



٥ - مسؤولية الجالية المسلمة و الدول الإسلامية و الدولة المضيفة

وفيما يلي بعض الأمور المهمة، والتي يمكن للمؤسسات الإسلامية، أن تضع الخطط العلمية المدروسة، وتحاول تحقيقها، لتقوم بدورها القيادي للجالية، للوصول إلى مستوى أفضل:

أولاً: مسؤولية الجالية المسلمة

١- أن نكون أقوياء في كل شيء وفق الأطر القانونية: كي نتمكن نحن الجالية المسلمة من بناء مستقبل أفضل، علينا أن نكون أقوياء في كل شيء، ووفق الأطر القانونية، مجتهدين في طلب العلم الحديث، أصحاب قوة وشأن في المجال الاقتصادي، نؤدي دوراً سياسياً مسؤولاً ومؤثراً، نؤدي دوراً إعلامياً مواكباً لكل ما يحيط بحال الجالية والأمة، وندافع عن قضايانا مبينين حقوقنا المشروعة بصوت عال ومسموع ومؤثر غير خجول ولا ضعيف منهزم، وننشط في أداء دورنا الفكري في نشر مفاهيم الدين الإسلامي الذي نعتقد أنه الخير والرحمة والسلام للعالمين، فقد قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) .

٢- التمسك بالإسلام عقيدة وأخلاقاً: إن هذا هو دور الفرد المسلم وواجبه تجاه نفسه، ولكن للمؤسسة الإسلامية في منطقتها دور كبير في مساعدته لتحقيق ذلك، بتفعيل دور المسجد العلمي، بإيجاد دروس علمية منظمة ودائمة، تعلم المسلم المهاجر دينه في مختلف مراحل العمرية، وتقوي علاقته بالجالية بواسطة برامج اجتماعية تقوي مفهوم صلة الرحم الإسلامية بين أبناء الجالية، وتكون اللجان لحل الخلافات التي يمكن أن تحصل في أي



مجتمع، قبل أن تتطور الخلافات إلى مكائد ودسائس تستغلها بعض الجهات لتلحق الضرر الأكيد بالجالية وتفرق جمعهم.

إن أعظم رسالة يمكن أن تصحح تصور الغربيين وغيرهم عن ديننا وعن أمتنا، تتمثل في أن يكون أبناء الجالية الإسلامية، ملتزمين بدينهم وتوجيهاته في أخلاقهم ومعاملتهم، سواء في حياتهم المنزلية وعلاقاتهم الأسرية، أم في معاملاتهم مع الآخرين، أم في عبادتهم لربهم، أم في سائر شؤونهم وتصرفاتهم، وأن يكونوا صورة تمثل بصدق ما أمرهم به الله تعالى. عندئذ سيجدون أثر ذلك في هذا المجتمع الغربي، يتجلى

٣- التبصر في حقائق الدين والحذر من الوقوع في هاوية التكفيريين: وقد حذر النبي ﷺ من الاتهام بالكفر، ففي الحديث الصحيح عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِذَا كَفَرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا)^(١)، وهذا ما لم يكن الآخر كافراً بيقين، فستردُّ التهمة على من قالها، ويوء بها، وفي هذا خطر جسيم. وإن قالها خوفاً أو تعوداً من السيف، فحسابه على الله، ولنا الظاهر، ولهذا أنكر النبي ﷺ غاية الإنكار على أسامة حين قتل الرجل في المعركة بعد أن نطق بالشهادة.

ومن دخل الإسلام بيقين لا يجوز إخراجه منه إلا بيقين مثله، فاليقين لا يزول بالشك، والمعاصي لا تخرج المسلم من الإسلام، حتى الكبائر منها، كالقتل، والزنى، وشرب الخمر، ما لم يستخف بحكم الله فيها، أو يردده ويرفضه.

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان رقم ١، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر رقم ٢٦، ج ١، حديث رقم ١١١، ص ٧٩.



٤- نبذ التطرف: فإن الإسلام دين التوسط والاعتدال، وإن الغلو والتطرف والانحراف أمر مرفوض شرعاً مهما كانت الأسباب، وليس من الإسلام في شيء، والغلو في الدين ظاهرة أصيب بها أتباع الأديان السابقة، وكانت سبب هلاكهم ودمارهم، وهي من علل الذين لم يتبعوا الدليل الصحيح في دينهم التي قصّها الله علينا ليحذرنّا منها فلا نقع بما وقع به غيرنا من الغلو والتطرف والتحريف والتأويل الفاسد والتدين المغشوش.

روى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: (... إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ) (١)، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (إِنَّ الدِّينَ يَسِرُّ وَلَنْ يَشَادَ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدُّوا وَقَارِبُوا وَأَبْشُرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ) (٢).

٥- الرحمة والحكمة في دعوة الناس: إن قوة الجالية من قوة التزام أبنائها بدينهم، وهذا يتحقق لو استطاعت المؤسسات الإسلامية في هولندا أن تجتذب أكبر عدد من أبناء الجالية للمشاركة الإيجابية في أنشطة المؤسسات العلمية والاجتماعية، ولا يتحقق ذلك إلا إذا قام على هذه البرامج علماء عارفون بطبيعة المجتمع الهولندي، ونوعية المشاكل والعقبات التي تواجه أبناء الجالية رجالاً ونساءً شباباً وكهولاً، وأن يكون العالم الموجه على دراية فقهية

(١) النسائي، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي، ٢١٥-٣٠٣هـ، سنن النسائي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه العلامة المحدث محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ب ت، كتاب مناسك الحج رقم ٢٤، باب التقاط الحصى رقم ٢١٧، حديث رقم ٣٠٥٧، ص ٤٧١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان رقم ٢، باب الدين يسر ٤٩، ج ١، ص ١٥.



عميقة لإيجاد الحلول الشرعية التي تأخذ أبناء الجالية برفق نحو الحل الأمثل الذي يمكن أن يكون ممكن التطبيق، وأن لا تكون الفتوى مستحيلة التطبيق، وكأن المفتي يفترض أننا نعيش في دولة عربية أو إسلامية، ويريد من أبناء الجالية أن يتبعوا هذه الفتاوى، أو يرحلوا من هذه البلاد، فلا هم راحلون، ولا هم قادرون على اتباع حل شرعي وسط لمشاكلهم، فنكون قد خسرناهم بصفتهم أبناءً لنا وفقدنا قدرتنا على التواصل الفكري وربما الاجتماعي معهم.

٦- الوفاء للمجتمع بدعوتهم بالحكمة لدين العدل والخير: إن المؤمن المسلم يؤمن يقينا أنه على الحق الذي لا يقبل الله غيره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ١٩)، وقال تعالى أيضا: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥)، ولإثبات أن الإسلام دين الحق، فإن المجال واسع، يعرف ذلك من لبي نداء الفطرة السليمة، وآمن من بين أبناء هذا المجتمع، وليس هاهنا مجال ذكر الأمثلة على ذلك، فهي غنية عن التعريف، في أوساط العلماء والمفكرين الغربيين ذوي الأصول غير الإسلامية، كما يعرفه من غلبت قوة عقله وحكمته على قوة عناده وشهواته ونزعاته المعادية للحق^(١).

٧- دعوة غير المسلمين على اختلاف مراحل إعجابهم أو عداوتهم للإسلام: إننا نعيش في هذا المجتمع الغربي بين نماذج مختلفة من الناس فبعضها يعبر عن إعجابه ببعض مظاهر الحضارة العربية أو الإسلامية، وبعضها يعبر عن مشاعر العداوة والاحتقار للحضارة العربية والإسلامية،

(١) انظر إلى: 20-08-2007 . <http://tanseer.jeeran.com/priests.html>



ومهمة المؤسسات الإسلامية أن تعي بدقة أن هؤلاء هم هدفنا لتقريب كل منهم إلى فهمنا فكريا واجتماعيا وحضاريا والتعامل معنا بطريقة أفضل من المرحلة السابقة، لذا فعليهم أن يخططوا لبرامج علمية مدروسة تسعى لجذب كل مستوى من أبناء المجتمع إلى الدرجة الأقرب للإسلام، وسيكون مكسبا للمدعو وللأمة الإسلامية أن يؤمن المدعو بالحقيقة الإيمانية الإسلامية الكاملة.

٨ - تشجيع الحوار البناء مع غير المسلمين.

٩ - التصدي السلمي الحازم ضد الحملات الإعلامية المسيئة إلى الإسلام ونبي المسلمين.

١٠ - التنسيق الإعلامي للرد على المغالطات المتعمدة وغير المتعمدة ضد المسلمين.

١١ - توثيق علاقات الثقة مع مجتمع.

١٢ - إيجاد مؤسسة حقوقية تعمل للدفاع عن حقوق الجالية المسلمة:

١٣ - اتقان اللغة إلى جانب اتقان اللغة الأم.

ب - دور الدول الإسلامية في بناء مستقبل أفضل

١ - قيام علماء فقهاء عارفين بشؤون ومشكلات الجاليات المسلمة في الغرب الأوروبي، بدراسة المسائل الفقهية التي تعترضهم، وإصدار فتاوى معاصرة وفق القرآن والسنة بروح علمية منفتحة.

٢ - تكوين دعاة للإسلام من أبناء البلاد الغربية العارفين لغتهم وعاداتهم وطريقة تفكيرهم: التخطيط الإعلامي لتوجيه الجالية المسلمة في أوروبا، ولدعوة الأوروبيين للإسلام، وبيان الحق المسلوب للأمة الإسلامية.

٣ - التخطيط الإعلامي لتوجيه الجالية المسلمة في أوروبا، ولدعوة



الأوروبيين للإسلام، ولبيان الحق المسلوب للأمة الإسلامية.

٤- تقديم الدعم المالي للجالية لمواجهة الإسلاموفوبيا

ج - دور الدولة المضيفة في تحقيق مستقبل آمن وعادل للجميع

١- الحذر من تعميم الاتهام كي لا ينال الأبرياء .

٢- البحث عن الحقيقة وتجنب قلب الحقائق

٣- التمييز بين مبادئ الإسلام الأصل المبنية في القرآن والسنة وردود أفعال الغاضبين المسلمين

٤- احترام عقيدة وشرعية المسلمين عامة وإعطائهم حرية ممارسة أحكام الشريعة الإسلامية

٥- إدماج المسلمين بشكل متوازن في المجتمع

٦- نبذ الأفكار والدعوات التي تدعو إلى الاستهزاء بمقدسات الإسلام

٧- نشر ثقافة التسامح والتفاهم

٨- البحث بجدية عن الحلول الإنسانية العادلة للمشكلات العالقة بين الغرب والعالم الإسلامي

٩- ضرورة تعديل التوجهات في التعامل مع الإسلام.

إن واجب المسلم في كل زمان ومكان، وفي أي حال من الأحوال، هو الالتزام بما يرضي الله تعالى، ويزداد هذا الواجب وجوباً عندما يكون المسلم في ديار الغرب، لأنه إما أن يكون عاصياً لله فيقدم صورة سلبية عن نفسه ودينه، وفي هذا صدق عن سبيل الله، أو أن يكون مطيعاً لله تعالى فيقدم في



طاعته لله أفضل ما يمكن تقديمه لسعادة نفسه والآخرين، فيكون مثالا يُقتدى به في الوفاء والإخلاص والبرِّ بمن حوله، وفي هذا دعوة لدين الله دين الخير والرحمة بالعمل الصالح.

ولكي يستطيع المسلم أن يقوم بهذا الدور على أكمل وجه، عليه أولاً أن يتعلم دينه عقيدة وأخلاقاً ويعمل بما يأمره به دين الرحمة والخير للناس أجمعين، فإنَّ تَعَلُّمَ العقيدة والأخلاق الإسلامية واتباع أوامرها من أولى الواجبات في حياة الفرد والجمالية والأمة جمعاء، وهو الكفيل بأن يعرف الإنسان واجبه تجاه الآخرين، والكفيل بأن يجنبه ويجنب الآخرين أي سوء قد يحيط بهم، ذلك أن التعامل مع الآخرين على أساس من الإيمان بالله ورسوله وطاعتهمما بالفعل والقول هو الذي يحقق السلم والأمان للجميع، ويحميه من آثار شهوة الغضب والانتقام المبالغ فيه، الذي يدفعه إلى ارتكاب عدوان على أبرياء، يآثم بهذا العدوان، وإن كانت غايته استعادة حقوقه المغتصبة.

إنَّ الإنسان يكون مسلماً إذا نطق بالشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) بعد أن يكون قد عرف معنى هاتين الشهادتين، ولم يحلل ما حرم الله، أو يحرم ما أحل الله، فإن عصى الله بفعل أو اعتقاد أو قول لا يخرج من الملة، فهو على أصل الإسلام، وأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له^(١).

(١) ياسين عبدالرزاق الحراكي، واجب المسلم في هولندا وفق القرآن والسنة وعلى ضوء الأحداث المعاصرة، مايو ٢٠٠٨م.